

تفسير ابن كثير

قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ^ج فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ^ط وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ

فلما قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، (قال الذي عنده علم من الكتاب) قال ابن عباس : وهو آصف كاتب سليمان . وكذا روى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه آصف بن برخياء ، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم . وقال قتادة : كان مؤمنا من الإنس ، واسمه آصف . وكذا قال أبو صالح ، والضحاك ، وقتادة : إنه كان من الإنس - زاد قتادة : من بني إسرائيل . وقال مجاهد : كان اسمه أسطوم . وقال قتادة - في رواية عنه - : كان اسمه بليخا . وقال زهير بن محمد : هو رجل من الأندلس يقال له : ذو النور . وزعم عبد الله بن لهيعة : أنه الخضر . وهو غريب جدا . وقوله : (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أي : ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك . وقال وهب بن منبه : امدد بصرك ، فلا يبلغ مداه حتى آتيك به . فذكروا

أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ، ثم قام فتوضأ ، ودعا الله عز وجل . قال مجاهد : قال : يا ذا الجلال والإكرام . وقال الزهري : قال : يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهنا واحدا ، لا إله إلا أنت ، اتتني بعرشها . قال : فتمثل له بين يديه . قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزهير بن محمد ، وغيرهم : لما دعا الله ، عز وجل ، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس - وكان في اليمن ، وسليمان عليه السلام بيت المقدس - غاب السرير ، وغاص في الأرض ، ثم نبع من بين يدي سليمان ، عليه السلام . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه . قال : وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر ، فلما عين سليمان وملؤه ذلك ، ورآه مستقرا عنده (قال هذا من فضل ربي) أي : هذا من نعم الله علي (ليلوني) أي : ليختبرني ، (أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) ، كقوله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) [فصلت : 46] ، وكقوله (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) [الروم : 44] . وقوله : (ومن كفر فإن ربي غني كريم) أي : هو غني عن العباد وعبادتهم ، (كريم) أي : كريم في نفسه ، وإن لم يعبد أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ،

وهذا كما قال موسى : (إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد) [

إبراهيم : 8] . وفي صحيح مسلم : " يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ،

وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي

، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص

ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم [ثم أوفيكم إياها] فمن

وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " .